رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة الفتح | من الأية 11 إلى 41

عبدالرحمن العجلان

اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلنا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا - 00:00:00

بل كان الله بما تعملون خبيرا والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما منبورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السماوات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - 00:00:37

وكان الله غفورا رحيما هذه الايات الكريمة من سورة الفتح يقول الله جل وعلا في كتابه العزيز سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا هذه الايات جاءت بعد قوله جل وعلا - 00:01:24

ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما لما ذكر الله جل وعلا - 00:01:56

رضاه واطلاعه وعلمه للذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية بيعة الرضوان للاستماتة في سبيل الله والا يفروا من العدو مهما بلغ كثرة ذكر جل وعلا من تخلف - 00:02:20

وخلف عن هؤلاء الاخيار وقال جل وعلا سيقول لك المخلفون من الاعراب يخبر جل وعلا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بما سيقال له قبل ان يقولوا شيئا انصرافه من الحديبية - 00:02:47

وقبل ان يصل الى المدينة اخبره الله جل وعلا بان اعراب اهل المدينة سيقولون كذا وكذا سيقول لك المخلفون مخلف فرق بين مخلف ومتخلف متخلف هو تخلف هو نفسه لكن هؤلاء مخلفون - 00:03:16

خلفهم الله اخرهم الله ثبتهم الله عن الخروج لانهم لا خير فيهم وهم على هذا المعتقد الذي هم عليه سيقول لك المخلفون من الاعراب هؤلاء اعراب حول المدينة فيهم نفاق - 00:03:47

ما عندهم الايمان بالله جل وعلا وبرسوله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عزم على التوجه الى مكة في السنة السادسة العمرة وكان هو - 00:04:13

واهل مكة اهل حرب كانوا محاربين له فالنبي صلى الله عليه وسلم رغب الى اهل المدينة ومن حولهم ان يسحبوه العمرة ليكثر العدد لانه عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب - 00:04:40

الا ما اطلعه الله جل وعلا عليه. فلا يدري ماذا سيكون من اهل مكة ربما خرجوا في جيشهم وعدتهم لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم للقتال فيكون معه من اصحابه - 00:05:04

من يقاتل في سبيل الله اذا لزم الامر فاعلن ذلك صلى الله عليه وسلم للناس ورغب في ان يكثر العدد فالمؤمنون فرحوا بمرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخروج معه - 00:05:24

الى مكة والعمرة بصحبته عليه الصلاة والسلام لانها غنيمة المنافقون ماذا قالوا قالوا محمد وصحبه لقمة سائغة لاهل مكة راحوا ذهبوا يقدمون انفسهم لاهل مكة يقتلونهم ويقولون في انفسهم اهل مكة جاؤوا الى النبي الى محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وقتلوا منهم مقتلة عظيمة في احد - 00:05:45

وهم في المدينة فكيف اذا ذهبوا اليهم وقدموا انفسهم الى اليهم في ديارهم فانهم سيقظون عليهم ولن يعود منهم احد فما خرجوا ما صار عندهم العزم والرغبة في الخروج خوفا على انفسهم من الموت والقتل - 00:06:19
فلما توجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد من الحديبية الى المدينة منتصرا عليه الصلاة والسلام وبشره الله جل وعلا بما بشره به من مغفرة ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر. وما اعده الله جل وعلا للمؤمنين من غنائم الدنيا - 00:06:43
والجنة في الدار الاخرة. ورضاه جل وعلا عنهم حزبهم الامر وقالوا في انفسهم بماذا يعتذرون من محمد صلى الله عليه وسلم فاخبره الله جل وعلا بانهم سيقولون له ذلك بالسنتهم فقط. واما قلوبهم فهي خلو من الايمان - 00:07:05
وانما قالوه لمصالحهم الدنيوية خشية ان يقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب حول المدينة قال المفسرون هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والديل - 00:07:31
هذه قبائل حول المدينة منهم القريب ومنهم البعيد خلفهم الله جل وعلا عن صحبة رسوله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما عاد النبي صلى الله عليه وسلم جاؤوا يقولون له ويعتذرون منه شغلتنا اموالنا واهلونا - 00:08:03
كان لنا رغبة في صحبتك والخروج معك ولكن انشغلنا باهلينا واموالنا اهلنا ما عندهم احد لو ذهبنا وتركناهم ضاعوا واموالنا تؤخذ او تسرق او تهلك فانشغلنا بها وبحفظها فاستغفر لنا - 00:08:27
ان كنا اخطأنا فاسأل لنا المغفرة من الله جل وعلا وهم كذبة. ما عندهم الايمان بالله ولا برسوله صلى الله عليه وسلم. ولكنهم قالوا هكذا ليرضوا النبي صلى الله عليه - 00:08:51
باللسان فقط فاستغفر لنا. يعني اسأل لنا المغفرة من الله لعل الله ان يغفر لنا تخلفنا وذنبنا في التخلف وكان من اذنب من الصحابة رضي الله عنهم بقوة ايمانهم يأتون الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه ان يستغفر لهم - 00:09:06
وان يسأل الله جل وعلا لهم المغفرة والتوبة فهؤلاء تشبهوا بالمؤمنين وليسوا منهم لان اولئك يقولون ذلك بالسنتهم وبقلوبهم الذي ربطنا نفسه في سارية المسجد وقال لا وفكوا منها حتى يحلني رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الله جل وعلا غفر لي خطيئتي - 00:09:35
والاخر يأتي معترف بالحد بما فعل من الافعال ليقام عليه الحد وليطهر وهكذا الصحابة رضي الله عنهم ليسوا معصومين من الخطيئة ولكنهم يستغفرون ويتوبون ويرجعون الى الله جل وعلا هؤلاء تشبهوا بهم - 00:10:04
جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا شغلتنا يعني انشغلنا باموالنا شغلتنا اموالنا واهلونا اشتغل لنا ليغفر الله لنا اخبر الله جل وعلا بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم. هذا كذب - 00:10:26
وهذا مجرد قول باللسان والا فليس عندهم ايمان لا يؤمنون بالله ولا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله جل وعلا اذا قالوا لك ذلك فمن يملك لكم من الله شيئا - 00:10:48
لا احد يملك لكم من الله شيئا افرضوا اني استغفرت لكم والله جل وعلا يعلم ما في قلوبكم لن يغفر الله لكم كما قال الله جل وعلا في حق بعض المنافقين استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة - 00:11:09
فلن يغفر الله لهم لان الله جل وعلا يغفر للتائب يغفر للصادق في توبته اما الكاذب الذي يقول بلسانه استغفر الله واتوب اليه وهو مصر على معصيته. هذا بعيد ان يغفر له - 00:11:29
وهو على هذه الحال فان صدق في توبته فالله يتوب عليه وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه يحذر من توبة الكذابين قالوا يا ما هي توبة الكذابين؟ قال ان يقول استغفر الله واتوب اليه وهو مصر على معصيته. هذا كاذب - 00:11:49
اذا قال استغفروا الله واتوبوا اليه يرجع عن معصيته ويترك المعصية ويندم على ما فرط منها ويعزم على الا يعود فالله يغفر له الله جل وعلا يقول قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله. ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم - 00:12:12
انيبوا الى ربكم واسلموا له اصدقوا المؤمن المسلم لا يستعظم ذنبه مهما عظم في جانب عفو الله. اذا تاب الى الله توبة صادقة اما اذا

كان يكذب فالله جل وعلا يعلم ما في قلبه. لا تخفى عليه خافية - 00:12:32
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه. ونحن اقرب اليه من حبل الوريد العرق العرق الذي في جانب العنق يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور قل فمن يملك لكم من الله شيئا لا احد من احد من يستطيع ان ينفعكم عند الله والله - 00:12:54
جل وعلا يعلم ما في قلوبكم من النفاق ان اراد بكم ذرا او اراد بكم نفعا ان اراد بكم ضرا قراءة والقراءة الاخرى ان اراد بكم ضرا بفتح الظاد وظمها - 00:13:23
الضرب خلاف النفع والضر هو ما يضر الانسان بمعنى البؤس والسقم وابن جرير رحمه الله يقول القراءتان صحيحتان مرة او ضرا لكنه رجح القراءة بالفتح قال لانها بمعنى خلاف النفع ثم ورد المقابل الذي هو النفع. ان اراد بكم ضرا او اراد بكم - 00:13:45
نفعى فلا احد يرد عنكم ما اراده الله جل وعلا من العذاب ولا احد يستطيع ان يمنع النفع الذي اراده الله جل وعلا لكم ان اراد ذلك فهو المتصرف جل وعلا كيفما شاء - 00:14:24
ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل الواقع والحقيقة بل كان الله بما تعملون خبيرا ما في قلوبكم من النفاق والكفر والظلال يعلمه الله جل وعلا. مطلع عليه ولا ينفعكم استغفار محمد ولا غيره - 00:14:53
ما ينفعكم ينفعكم الاستغفار مع التوبة والندم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اذا صدقوا واستغفروا الله وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم غفر الله لهم لان الله جل وعلا غفورا رحيما - 00:15:19
بل كان الله بما تعملون خبيرا مطلع على ما في قلوبكم وما في ضمائركم من النوايا الخبيثة والنفاق وانه ما امتنعتم من الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ظنكم السيء - 00:15:46
بان الله لن ينصر عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظنكم ان محمد ومن سيذهب معه سيكونون لقمة سائغة للكفار في مكة هذا الذي منعكم من الخروج ولم يكن لعذر حقيقي - 00:16:10
يقول تعالى مخبرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بما يعتذر به المخلفون من الاعراب المخلفون من الاعراب الذين اختاروا المقام في اهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:16:34
فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا ان يستغفر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قولا منهم لا على سبيل الاعتقاد دل على وجه المصانعة ولهذا قال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم - 00:16:54
قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اي لا يقدر احد ان يرد ما اراده فيكم تعالى وهو العليم بسرائركم وظمائركم. وان صانعتمونا وتابعتمونا. ولهذا قال بل - 00:17:16
الله بما تعملون خبيرا ثم قال جل وعلا بل ظننتم لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى ابدا وزين ذلك في قلوبكم. وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا بل الواقع والحقيقة ان الذي جعلكم تخلفون - 00:17:40
عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للعمرة هو ظنكم الظن السيء ظننتم ان لا ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا قلتم هذه نهايتهم سافروا الى مكة ليقضي عليهم اهل مكة. يقتلونهم هناك ولن يعود منهم احد. هذا الذي جعلكم تتخلفون - 00:18:16
ما تخلفتم لعذر وانما خوفا من القتل وظنكم السيء بالله جل وعلا والله ظننتم ان لن ينقلب الرسول يعني لن يرجع قالوا هذه نهايتهم. لن يرجعوا الى المدينة وزين ذلك في قلوبكم او وزين ذلك في قلوبكم. البناء للمعلوم والبناء للمجهول والمراد - 00:18:43
المزين هو الشيطان يعني سوغ لكم وزين لكم التخلف. قل قم هؤلاء سيذهبون ولن يعودوا وظننتم ظن السوء. ظن السيء ظنوا بالله جل وعلا انه لن ينصر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين - 00:19:11
وهذا ظن سيء والله جل وعلا وعد عباده المؤمنين بالنصر ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وظن وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا. يعني هلكين - 00:19:36

خاسرين ضائعين بمعنى هل كما فسره ذلك المفسرون رحمهم الله قال الزجاج هالكينا عند الله وكذا. قال مجاهد قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال ابو عبيدة بورا هلكى - 00:20:09

وهو جمع بائر مثل حائل وحول في المعتل والبور الهلاك وكنتم يعني انكم في الحقيقة هلك ضائعين من الايمان والعياذ بالله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا - 00:20:38

اي لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي اعتقدتم انهم يقتلون وتستأصل شقافتهم وتستباد خضراءهم ولا يرجع منهم احد - 00:21:03

وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا اي هلك قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وقال قتادة فاسد ومن لم يؤمن بالله ورسوله توعد الله جل وعلا المنافقين والكفار وكل من اعرض - 00:21:28

عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله كائنا وان كان فانا اعتدنا هيأنا واوجدنا للكافرين سماهم الله جل وعلا كافرين وهم منافقون والمنافقون اخس - 00:21:56

من الكفار فهم في الدرك الاسفل من النار فان اعتدنا للكافرين سعيرا. السعير النار المحرقة. المهلكة والعياذ بالله. اعدها الله جل وعلا لمن عصاه ومن لم يؤمن بالله ورسوله اي لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله - 00:22:25

فان الله تعالى سيعذبه في السعير وان اظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الامر ولله ملك السماوات والارض يا غالفير لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما - 00:22:53

بين جل وعلا كمال عزته وسعة ملكه وانه جل وعلا غني عن خلقه والخلق مفتقرون اليه وقال جل وعلا ولله ملك السماوات والارض له السلطان وله القهر وله الملك جل وعلا في السماوات والارض. فهو المتصرف في الكون - 00:23:19

يعذب من شاء عدلا منه جل وعلا ويغفر لمن شاء تفضلا منه ورحمة وبدأ جل وعلا بذكر المغفرة اولا استجلابا لهم وترغيبا لهم في طلب المغفرة والتوبة وقال جل وعلا يغفر لمن يشاء - 00:23:52

يغفر لمن يشاء وفي هذا دعوة لهم الى الاستغفار الحقيقي للقلب واللسان واما الاستغفار باللسان فلا ينفعهم وكذا لا ينفعهم استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم. لو استغفر لهم وهم لم يؤمنوا - 00:24:19

يغفر لمن يشاء لعلمه جل وعلا انه يستحق المغفرة ويعذب من يشاء بعدله جل وعلا فمن اعرض عن طاعة الله وطاعة رسوله عذبه لانه امر بالطاعة فابى وكان الله غفورا رحيما - 00:24:45

من جوده وكرمه جل وعلا رغب عباده بالمغفرة ووصف نفسه جل وعلا بالمغفرة والرحمة ولم يقل هنا وكان الله شديد العقاب وانما قال وكان الله غفورا رحيما. فاطلبوها تعرضوا لرحمة الله جل وعلا - 00:25:12

اسألوا الله المغفرة والرحمة بصدق واخلاص يعطيكم اياها فمن استغفر وتاب توبة صادقة قبل الممات غفر الله له والله جل وعلا يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والله جل وعلا يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار - 00:25:43

ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ورغب عباده بالاستغفار والتوبة ليغفر لهم وليتوب عليهم. ليرجعوا الى الله جل وعلا وكان الله غفورا رحيما فهو جل وعلا مع ما وصفهم به من الاعراض عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاستغفار - 00:26:11

والتوبة ووصف نفسه بالمغفرة والرحمة وان رحمته قريبة وانما على العبد ان يتعرض لها بطلبها بصدق واخلاص ثم بين تعالى انه الحاكم المالك المتصرف في اهل السماوات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - 00:26:44

وكان الله غفورا رحيما لمن تاب اليه واناب اليه وخضع لديه واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ليستجب لله جل وعلا ولرسوله ليتوب ليستغفر ليصدق في توبته واستغفاره ليبتعد عن المعصية يغفر له ما - 00:27:13

حتى وان كان الكفر والشرك قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقال جل وعلا في حق من قال المسيح ابن الله - 00:27:50

وقالوا عزير ابن الله قال الله جل وعلا افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه واذا تابوا الى الله واستغفروا الله غفر الله جل وعلا لهم وهو جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه وخالف امره وكفر به - 00:28:08

وكفر برسوله صلى الله عليه وسلم رؤوف رحيم بمن امن به واستغفره وتاب واناب اليه والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:28:31